المحاضرة الثالثة في مقياس مناهج البحث اللساني

المنهج اللساني الوصفي

أ.د. محمد خاين

1–مفهومه المنهج اللساني الوصفي

ينظر إلى المنهج الوصفيُّ على أنّه أهمِّ منهج يعتمد عليه في في حقول المعرفة الإنسانيَّة والاجتماعية بعامة واللسانيات بخاصة، حتى إنه يحلو لبعض الدارسين وصفه بسيد المناهج؛ لاعتماد المناهج الأخرى عليه، نظرا لكون الوصف مهارة عقلية لا يمكنها أن تغيب في أي منهج، وكذا لاستقلاله بوظيفة المنهج وطغيان استخدامه في الدرسات اللسانية الحديثة. فهو:" هو طريقة لدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع أطر محددة للمشكلة، ويتم استخدام ذلك في تحديد نتائج البحث."

وهذا ما يعني أن المنهج الوصفيّ يتأسسُ في الحقل اللساني على " وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة؛ أي: في نواحي أصواتها، ومقاطعها، وأبنيتها، ودلالاتها، وتراكيبها، وألفاظها، أو في بعض هذه النواحي، ولا يتخطَّى مرحلة الوصف"؛ وهذا ما يعنى أنَّ المستعين بهذا المنهج لا يقحم نفسه أثناء عملية الوصف للظاهرة اللسانية محل الدراسة في متاهات التعليل والتفسير، والبرهنة على فرضيات من خارجيات اللغة، كما أنه يتجنب التخطئة والتصويب.

كما ينبغي أن نؤكد ههنا أن المراد بالوصف الوصف لا يعني تقديم انطباعات شخصية، الأمر الذي يفضي إلى اختلافات قد تكون جوهرية وجذرية ومتباينة من دارس إلى آخر؛ وإنَّما هو وصف علميٌّ "يستند إلى التحليل، ولا يكون وصفًا علميًّا إلا أن يسبقه التحليل... كما أنَّ الوصف العلميَّ يتطلَّب الارتباط بالواقع قَدْر الإمكان، أمَّا الوصف غير العلميّ، فيتسم بالجنوح في الخيال بقصدٍ أو بغير قصد." والتحليل المعني ههنا ذاك الذي يعمل على جرد جميع تفاصيل الموصوف وحصرها، وتصنيفها، وترتيبها بناء على هذه التصنيفات بناء على نسق تفرضه إشكالية البحث.

2–نشأته:

ينظر الكثير من الدارسين بل يقررون أن نجم هذا المنهج قد سطع مع الدروس التي قدمها دي سوسير (ت 1913م) شارحا من خلالها ما عرف بالمنهج الوصفيّ، أو اللسانيات الوصفية.

ومرد ربط الباحثين لهذا المنهج بإسهامات دي سوسير في حقل اللسانيات إلى أنه أنَّه بعد اكتشاف اللغة السنسكريتيَّة في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ، وتحديدًا حينما أعلن السير وليم جونز آراءه حولها عام 1786م، اتجهت الأبحاث في أوروبا طيلةَ القرن التاسع عشر إلى الدراسة المقارنة وكذلك التاريخيَّة، التي ترى أن فَهم اشتغال اللغة لا يتمُّ إلا مِن خلال مقارنتها بغيرها، أو من خلال إنعام التأمل حلقاتها التاريخية، إلى أنْ جاءت رؤية دي سوسير التي جَعَلَت من دراسة اللغة نفسِها طريقًا لمعرفة ظواهرِها وأسرارها، وهو يرى أن المنهج الأسلم لدراسةِ اللغة يكون إلا بالبحث في مستوياتِها المختلفة.

3-مميزاته:

يتميز المنهج الوصفي بطريقته الواقعية في التعامل مع مشكلة البحث، نظرًا لوجود الباحث في قلب الميدان أو المكان المتعلق بالدراسة، أو على صلة مباشرة باظاهرة محل الدراسة إن كانت لسانية.

ويعد ذلك المنهج مناسبًا لموضوعات البحث العلمي التي تدور حول الظواهر أو المشكلات الاجتماعية والإنسانية وكذا اللغوية، ومن ثم يمكن من الوصول إلى الصف الوصف الكيفي الذي يتمثل في سلوك خارجي للظواهر، والوصف الكمي الذي يتمثل في الوصول إلى أرقام تتعلق بالمشكلة أو الظاهرة، أو أرقام لها دلالة في علاقة الظاهرة بالظواهر المحيطة.

يحد المنهج الوصفي من تدخلات الباحثين؛ لذا تظهر النتائج بصورة موضوعية؛ نظرًا لاشتقاقها بطريقة دقيقة، فعلى سبيل المثال لا يقف المنهج الوصفي على بعض الأسئلة التي تقبل تأويلات مختلفة، مثل: هل من الممكن قول....؟، فهو يهتم بما هو موجود وواضح للعيان.

يساهم المنهج الوصفي في اتخاذ القرارات الصحيحة المتعلقة بالدراسة من خلال تقديم الإيضاحات والشروح الخاصة بها. يمكن عن طريق المنهج الوصفي أن تتم صياغة الآراء والخبرات لوضع الخطط والتصورات المستقبلية لمواجهة بعض الظواهر الخطيرة.

4-مراحل استخدامه:

يبدأ استخدام المنهج الوصفي بالتعرف على مشكلة الدراسة، وبناءً على ذلك يتم تحديد كون المنهج الوصفي مناسبًا لها أم لا. وإن كا كان بالأمكان أنيصبح المنهج الوصفي طريقة فعَّالة في الحصول على النتائج الدقيقة. ويتم بعدها صياغة موضوع الدراسة في شكل فرضية أو أكثر، وهي عبارة عن حلول يبديها الدارس بشكل مبدئي، وهو المتعهد بإثبات ذلك أو نفيه؛ عن طريق ما يقدمه من قرائن في البحث.

يتم تحديد مدونة الدراسة بوصفها عينة بحث سوف يستعين بها الدارس؛ للوصول إلى معلومات حقيقية حول مشكلته التي طرحها وفقًا للمنهج الوصفي، وهذا الجانب على درجة كبيرة من الأهمية، ففيه يتم حصر الشروط المادية لنجاح البحث. في مرحلة تالية يختار الباحث أداة الدراسة التي تناسب المنهج الوصفي، مثل الاستبيان، أو المقابلة، أو الاختبار، أو الملاحظة، لجمع المعلومات، وتحتاج هذه المرحلة إلى تنظيم وترتيب واختبار الأداة الدراسية المستخدمة؛ من أجل التأكد من جدواها في الوصول للنتائج التي يود الباحث الحصول عليها.

بعد جمع المعلومات والبيانات يقوم الباحث بتبويبها وتصنيفها في مجموعات وتجهيزها لعملية التحليل. وبعد ذلك يتم تحليلها ، ثم يقوم الباحث بوضع نتائج البحث بشكل منظم ودقيق، وفقًا لما ساقه من براهين تم التوصل إليها عبر مراحل استخدام المنهج الوصفي. وفي النهاية يقوم الباحث بوضع الاستنتاجات والمقترحات التي تساهم في حل مشكلة الدراسة.

5–تطبيقاته:

بناء الأطالس اللغويَّة التي تقوم على رسم الخرائط الجغرافيَّة التي تبرز توزيع لغةٍ ما، أو عدَّة لغات، أو كل لغات الكون، فتبيِّن مدى انتشارها، وترسم حدود مجالها بألوانٍ مختلفة، أو بعلامات مميزة، تكون هذه الخطوط حدًّا يميِّز المجموعةَ اللغويَّة عن غيرها.إذ تعد النموذج الأصفى لتطبيق: "هذا المنهج الوصفيّ على اللغات واللهجات؛ فهي لا تعرض علينا سوى الواقع اللغويّ مصنفًا، دون تدخُّلٍ من الباحث بتفسير ظاهرةٍ أو تعليل لاتجاه لغويٍّ، هنا أو هناك."

وقد ذهب بعض الدارسين إلى استعراض قائمة من الأبحاث والدرسات اللسانية التي يمكن لها تعتمد المنهج الوصفي وبالتالي يصح لنا إدرجها ضمن اللسانيات الوصفية: "إنَّ كلَّ البحوث التي تتناول مستوى واحدًا من مستويات اللغة بالدراسة الشاملة أو الجزئيَّة لأحدِ جوانبه – تُعدُّ من موضوعات علم اللغة الوصفيّ فدراسة البِنيَة الصوتيَّة للعربيَّة المعاصرة، ودراسة المقاطع في لهجة عمان – تعدُّ من الدراسات الصوتيَّة الوصفيَّة، أما علم الصرف

الوصفيِّ، فيبحث موضوعات مثل: أبنية الأفعال في لهجة القاهرة، أبنية الأسماء في العربيَّة الفصحى المعاصرة، المشتقَّات في القرآن الكريم، المصدر في الشعر الجاهلي، وهذه أمثلة لدراسات تتناول بناء الكلمة في مستوى لغويٍّ بعينه من مستويات اللغة، وتدخل قضايا تحليل بناء الجملة أيضًا في علم اللغة الوصفيِّ، ومن أمثلة بناء الجملة بالمنهج الوصفيِّ: الجملة العربية في الشعر الجاهليِّ، الجملة الخبريَّة في القرآن الكريم، الجملة الطلبيَّة في الأصمعيَّات.. وفي الجانب المعجميِّ أيضًا مجالات كبيرة لتطبيق المنهج الوصفيِّ، وهناك معاجم أُعِدَّت لمستوى لغويٍّ بعينه؛ مثل: معجم ألفاظ القرآن الكريم."